



منذ بداية الثورة السورية قبل أكثر من ثلاثة سنوات، وجمهور العقلاء والناشطين والعارفين بطبيعة النظام السوري وطريقة تفكيره، قد حذروا المؤيدین لبشار مرارا وتكراراً بمختلف طوائفهم من مغبة الانجرار إلى خديعة ومكر هذا النظام، مؤكدين أن النظام ليس له هدف ولا غاية إلا المحافظة على كرسي الحكم والامتيازات الاقتصادية والاجتماعية له وللطبقة الحاكمة القليلة من حوله، وأنه لا يكتثر بعد ذلك بما سيحل ويحدث لأبناء طائفته وأقرب المؤيدین له، فضلاً عن تضحيته بالبلد ومقدراته وأبنائه في سبيل البقاء على سدة الحكم.

والتأكيد على عدم وجود أي نفس أو صبغة طائفية للثورة السورية، رفع المتظاهرون السوريون منذ البداية شعاراتهم الشهير "واحد واحد واحد الشعب السوري واحد"، في محاولة لتفويت الفرصة على النظام من استغلال طبيعة تنوع الطوائف في سوريا، واستثمار ذلك في تحويل مسار الثورة، من ثورة ضد النظام إلى حرب أهلية طائفية .

إلا أن عوامل كثيرة أدت إلى انجرار كثير من أبناء طائفة بشار – وكثير من الأقليات الأخرى – إلى الانخداع بشعارات النظام، وتهويله من آثار نجاح الثورة السورية والإطاحة بنظام حكمه عليهم، فكانت النتيجة أن وقف كثير من تلك الأقليات إلى جانب النظام، ليكتشفوا بعد ثلاثة سنوات صدق ما حذر منه الثوار.

كثير من الحوادث والواقع أكمل أن النظام السوري لا يهتم بأنصاره ولا بمؤيديه، بل ولا يعمل على إنقاذ حياتهم أو المحافظة عليها، بالإضافة للإهمال الملحوظ لشؤونهم داخل قطعاتهم العسكرية، ناهيك عن التغافل عن نداءاتهم واستغاثاتهم أثناء وقوعهم في الحصار الذي يعني الموت البطيء .

نعم.... لقد ضحى النظام بمؤيديه من الضباط والجنود من جميع الطوائف حين وقعوا في أسرا الثوار، بل ورفض جميع

مبادرات مبادلة أسراء بالأسرى المدنيين من السوريين، بينما سارت كل من إيران وروسيا ولبنان إلى مبادلة أسراءها بأسرى سوريين داخل سجون النظام، ومن المعلوم أن النظام بادل 2130 معتقلاً بـ48 إيرانياً مرة، وـ153 سجينة براهبات دير مار تقلا في معلولا مرة أخرى.

من ناحية أخرى لم يكتفى النظام لمئات وآلاف من جنوده ومؤيديه الذين وقعوا تحت حصار الثوار لمدة طويلة، دون أن يستجيب لنداءات استغاثاتهم ومطلبهم بإنقاذ حياتهم، من خلال السماح لهم بالاستسلام أو حرية التصرف للنجاة بأنفسهم. لقد كانت جميع الواقع تشير بوضوح إلى استخدام نظام بشار لأتباعه ومؤيديه – ومن بينهم الطائفة النصيرية – كوقود لبقاءه على سدة الحكم، وتقديمهم كأضحية على مذبح كرسي الملك وشهوة الحكم، كما كانت تلك الحوادث كفيلة بتغيير هذه الأقلليات لموقفها تجاه هذا النظام، والعمل على إزالته إذا كانت تريد العيش بسلام، إلا أن ذلك لم يحدث فعلياً إلى الآن، إلا أن بوادره قد تكون تلوح بالأفق على ما يبدو، مما يبشر بوقوع الخلاف والشقاق بينهم كتمهيد لهزيمة النظام وزواله.

في تطور جديد ولافت على الساحة السورية، وعقب سخط كبير إبان أعداد القتلى الكبير في صفوف قوات النظام وميليشياته خلال الـ45 يوماً الماضية، ساد الفئة الموالية للنظام سخط كبير، وبات واضحًا للعيان، خصوصاً بعدما ظهر على صدر صفحاتهم في موقع التواصل الاجتماعي – مثل تويتر وفيسبوك – مستنكرين في الوقت ذاته التراجع الكبير والأخير لقوات النظام أمام الثوار في عدة مناطق في سوريا، أهمها القلمون وريف حماة وريف حمص وريف دمشق. وأفادت مصادر عن إطلاق ناشطين من الطائفة النصيرية حملة، تحت مسمى "صرخة"، تعبيراً من الطائفة عن الاستنكار لسياسة النظام في التحكم في أبناء طائفته النصيرية وتوجيههم إلى مرامي القتال ضد الثوار على الجبهات الأولى، في حين ينعم آل الأسد وحاشيته بعيش كريم آمن.

وتداول ناشطون سوريون عبر موقع التواصل الاجتماعي، صوراً نشرت على الصفحة الرسمية لحملة "صرخة" على (فيسبوك)، تظهر أوراقاً ولافتات، كتب عليها عبارات: "الكرسي إلك والتابت إلنا" و"الشارع بدو يعيش"، في إشارة إلى تمسك بشار الأسد ومن معه بالسلطة، وجعل الطائفة النصيرية وقداً لحربه في سوريا.

وقد تم توزيع مناشير مطبوعة كبداية لعمل الحملة في مدينة طرطوس الموالية للنظام، وخاصة للخسائر التي تتکبدتها المدينة والريف من خسائر في صفوف أبنائهم المتقطعون في جيش النظام وميليشياته، من لجان الدفاع الوطني واللجان الشعبية. وبغض النظر عن مصداقية الأرقام الكبيرة التي أوردها ناشطوا هذه الحملة لضحايا جنود النظام وأتباعه في المعارك الدائرة منذ أكثر من ثلاث سنوات "330 ألف حسب زعمهم"، إلا أنها تعكس مقدار التذمر من أهالي القتلى التي تتزايد ضد نظام بشار.

وعلى الرغم من عدم وجود مصدر موثوق لتلك الأنباء التي تشير إلى تزايد الخلافات على ساحة الطائفة النصيرية والعائلات الكبرى، وخاصة في مدينة القرداحة مسقط بشار الأسد وعدة مناطق أخرى، وذلك عقب تشيع مئات المقاتلين في الأيام الأخيرة في تلك المدن والقرى، التي كانت تعد من أكبر الخزانات البشرية لشبيحة النظام السوري، إلا أن ذكرها وإبرادها – دون التعويل عليها وحدها في تحقيق النصر المنتظر من الله وحده – قد يكون لا بأس به من باب تذكير الجميع بقوله تعالى : {وَلَا تَهُنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُلُونَ فَإِنَّهُمْ بِالْمُؤْمِنَ كَمَا تَأْمُلُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا} النساء/104